مجـــلة القانـــون، المجتمـــع والسلطـــة
مجلد: 09 عدد:01 2020
ISSN: 2253-0266
EISSN: 2600-6219

# الإستشراق الغربي والإستغراب العربي: نحو بناء جسور التقارب والتفاهم المتبادل

# Occidental Orientalism and Arab Occidentalism: Towards Building Bridges of Rapprochement and Mutual Understanding

**الدكتورة نجـــــــــار مكيـــــــــة**
أستاذة محاضرة "ب" /كلية الحقوق والعلوم السياسية. جامعة وهران 2

**تاريخ الإستلام**: 2019/12/21 **تاريخ القبول**: 2020/02/10 **تاريخ النشر**: 2020/02/24

**ملخص:**

تحاول هذه الورقة أن تقدم مدخل لإشكالية التأسيس العلمي للاستغراب في العالم العربي من أجل قراءة الغرب يكون فيه الشرق فاعلا ومؤسسا لنظرية جديدة وناقدا لخطاب الاستشراق الغربي، وذلك من خلال مراجعة تشكل تصور الاستغراب استنادا الى الاستشراق الذي عالجه كتاب الاستغراب العربي للكاتب محمد عيد.

**الكلمات المفتاحية:** الاستغراب؛ الاستشراق؛ الشرق الأوسط، أمريكا.

**Abstract** :

This paper is an attempt to tackle the problematic scientific founding of Occidentalism in Arab world, aiming to convert the Orient to an agent and a new theory-maker based on critique of the orientalist discourse while reading the Occident (West). Hence, this is through reviewing the Occidentalism project framing inspired by Mohamed Eid's Arab Occidentalism book.

**Keywords:** Occidentalism, orientalism, Middle East, America.

## مقدمة*:

لا يخفى على احد ان الاستشراق[1] كطرائق التناول الغربي للثقافة والعالم العربي والإسلامي[2] شهد اهتماما وجدلا معرفيا مازال قائما لحد الآن، إلا أنه اثرى المنظومة المعرفية الغربية التي اكتسبت الريادة والسبق العلمي في الادبيات الخاصة بـ "الشرق الأوسط وشمال افريقيا"[3] والعالم الإسلامي عامة.

ويرنو غالبية المفكرين عربا وعجما الى أثر الاستشراق بأدواته ونقده على الادبيات الكولونيالية وما بعد الكولونيالية ومفرزاتها كالامبريالية[4] التي فجرها كتاب ادوارد سعيد

* قراءة في كتاب لـ"محمد عيد"، بعنوان "الإستغراب العربي: صور أمريكا في الشرق الأوسط"؛ Arab Occidentalism: Images of America in the Middle East؛ دار النشر: I.B.Tauris؛ سنة النشر: 2015؛ عدد الصفحات: 212.

[1] يجب التنويه، من جهة، انه لا يمكن تحديد مفهوم "الاستشراق" لفظا وابستمولوجيا (فيما يخص علاقة الشرق بالغرب في إطار نظرة وادراك "الانا" لـ"الآخر") بسبب الكم الهائل للأدبيات التي تدرس الشرق الأوسط (العربي) والتي تتجاوز حدود التخصصات العلمية. كما تتعدد صور الحديث عن الاستشراق وما بعده وتجلياته تقريبا في كل ميادين المعرفة السوسيوتاريخية للشرق باختلاف طبائعه وتنوع أطيافه. ومن جهة أخرى، هناك أدبيات الاستشراق تعني بدراسة الشرق المتمثل في الصين، الهند، اليابان وحتى روسيا بالانتماء جغرافيا الى شرق الغرب صاحب الحضارة الاوروميركزية والمتمثل في أوروبا وأمريكا. وهنا نشير الى ان أثر الاستشراق كمقاربة في الدراسات الكولونيالية وبعد الكولونيالية له أثر كبير على دول العالم الثالث الإفريقية وأمريكا اللاتينية والاسيوية كونها عانت من الكولونيالية والهيمنة الاوروأمريكية.

[2] مُحَمَّد الدعمي، الاستشراق: الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، ص.07.

[3] ولا شك في ان شيوع التسمية (MENA) Middle East and North Africa أو "الشرق الأوسط" الان نسبة الى العالم العربي والإسلامي يعبر عن شبه اتفاق أكاديمي حول التشبث بالارث الكولونيالي أكثر من مجرد الحديث عن حيز جغرافي.

[4] يتحدث Fernando Coronil عن الخرائط الامبريالية وكيف تمثل العالم المعاصر، ولكن في نفس الوقت خلقت إشكالية تمثيل هذا العالم من حيث الخطابية وليس من حيث التموقع الجغرافي، مثلا استعمال مصطلحات مثل: West,

"الاستشراق"[1] سنة 1978، إن لم يكن الأول الذي اعتمد الخط الجدلي والأدوات الاكاديمية المناسبة التي لجأ اليها الغرب كاليات التفكير بالشرق. وهي نفسها أساليب فكرية للتعامل مع التاريخ العربي الإسلامي والتي نجدها في كل ميادين المعرفة حيث يرى العالم الغربي "الشرق" كالمقابل العجيب اللازمني اختزل بفعل الاستشراق لينتمي الى جغرافيا المخيال الاوروميركزي[2]. وهذا ما اعتبر الجانب المظلم لأدبيات الاستشراق[3] الذي ترى الشرق على شكل الاسقاط المخيالي لـ "الآخر" المختلف والمتخلف حضاريا كند لـ "أنا"، مما زج بالشرق والغرب في حالة توتر وتضاد شبه كامل.

وما زاد من تفاقم العلاقة بين الشرق والغرب هو هيمنة المنظومة المعرفية الغربية وفعاليتها في التأثير روجت لدونية صورة ما هو "شرقي" بسبب جموده الابستمي والحدود الفكرية–النفسية التي فرضت نفسها على حساب الحدود الجيوسياسية. اذن لا تخلو علاقة

---

Occident, Orient, First World, Center, Periphery, Third World,... تحمل في طياتها شحنات أيديولوجية لمساحات هيمنة. وقد لا نجد مشكل (جغرافي على الأقل) في التعامل مع "الغرب" مرادف لـ " Westأو Occident" حين انتقل مركز ثقل الهيمنة من أوروبا الى الولايات المتحدة في أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية. للمزيد من التفاصيل انظر

Fernando Coronil, "Beyond Occidentalism: Toward Nonimperial Geohistorical Categories", *Cultural Anthropology*, vol.11, n 1, 1996, pp. 53-56.

[1] يرجح الكثير من الباحثين والمختصين ان هناك من كان لديهم سبق في كشف ونقد ومواجهة الممارسات الفكرية والسياسية للاضطهاد والاستعمارية بشكل عام. يبدو ان فرانز فانون Frantz Fanon من بين من يتصدر اللائحة حيث يقوم الفكر الفانوني كفكر نقدي مناهض للاستعمارية على تجريد التاريخ والفكر من الصبغة الكولونيالية التي أسست بيداغوجية إقصاء الآخر منذ 1961 تاريخ إصدار كتابه الشهير "معذبو الأرض".

[2] Zachary Lockman, *Contending Visions of the Middle East: The History and Politics of Orientalism*, Cambridge University Press, 2011, p. 85.

[3] Walter Mignolo, *The Darker Side of Western Modernity: Global Futures, Decolonial Options*, Duke University Press, 2011; Arif Dirlik, *The Postcolonial Aura: The Third World Criticism in the Age of Global Capitalism*, Westview Press, 1997.

الشرق–الغرب من الالتباسات تتمازج فيها الحقيقة مع الاسقاطات المتخيلة لـ"الذات" و"الآخر" تعبر عن مواجهة أكثر من تقارب أو تعاون.

وفي نفس الوقت، أدى تأخر انطلاق علم الاستغراب occidentalism كمدخل لدراسة وفهم الغرب ضمن مشروع معرفي في الشرق الى اتساع فجوة الخلاف والاختلاف الحضاري الثقافي بين العالمين الشرقي العربي والغربي. وقد نجد في هذا السياق حسن حنفي وكتابه "مقدمة في علم الاستغراب" (1991) الذي دعى الى دراسة الغرب برؤية شرقية وإبداع الأنا مقابل تقليد الآخر وإمكانية تحويل الآخر الى موضوع للعلم بدلا من أن يكون مصدرا للعلم في إشارة لمدى تطور الغرب في انتاجه الفكري مما شرعن المعرفة المتعلقة بالشرق، وأصبحت مراكزه الاستشراقية أكثر مصداقية وفعالية.

فيما تعزز وقوي الاستشراق في مشروعه المعرفي العلمي لنجد آلاف المراكز الفكرية تدرس الشرق الأوسط، نجد في المقابل بضع عشرة مؤسسات مختصة في الاستغراب شبه نكرة ومحدودة الفعالية. لذلك تعالت الأصوات التي تدعو الى ترويج قراءة نقدية تحليلية كمدخل لفهم الاخر وإطلاق عنان منظومة فكرية علمية تنقد الاستشراق ولا تعكسه، وتؤسس لعلم الاستغراب دون "تهويل أو تهوين"[1].

ولكن، ظهر للاستشراق (وأدبياته) جانب آخر، مشرق ومتحرر من الفكر الكولونيالي، أزاح غطاء الذاتية والشحنة الأيديولوجية المتعالية عند الغرب عن الكتابات والخطابات الاقصائية، وصوب مسار المعرفة عن هذا وذاك بالنقد والموضوعية والتدقيق

[1] هذا ما عبر عنه عبد القادر بخوش في افتتاحية مقال في مجلة "علم الاستغراب" بقطر في عددها الاول 2017 كمبادرة تأسيس نسق معرفي جاد وإطلاق مقاربات ابستمولوجية رصينة تجعل الغرب ليس فقط مصدرا للعلم ولكن أيضا موضوعا للدراسة والنقد من أجل إثراء حوار حضاري
ومثاقفة جادة كمدخل للعلاقة مع الآخر.

وخاصة بعد ازدياد الاهتمام الكبير بالشرق الأوسط والعالم العربي علميا. فنجد العديد من المشاريع التي انطلقت للتأسيس لعلم الاستغراب[1] ناهيك عن تزايد عدد الدراسات العلمية حول الغرب في الشرق الأوسط العربي كنسق معرفي يخاطب فيه الشرقُ الغربَ. تماما مثلما قام به مُحَمَّد عيد في كتابه **الاستغراب العربي: صور أمريكا في الشرق الأوسط** الذي يعد مرجعا هاما للمكتبة العربية وان كان خطابه موجها للجمهور الإنجليزي اللسان بالدرجة الأولى في أمريكا وغيرها.

ويرد هذا الكتاب الذي هو ثمرة أطروحة الدكتوراه في جامعة جورج واشنطن بالعاصمة الامريكية، كاسهام يستحسنه العالم الأكاديمي وخصوصا إذ يعالج موضوع علاقة الولايات المتحدة الامريكية بالشرق الأوسط قبل وبعد أحداث الربيع العربي. وينصب تصنيفه في إطار دراسة متعددة التخصصات من السياسة الى الثقافة والادب المقارن والاعلام والسينما، والتي تنتمي الى دراسات الشرق الاوسطية والدراسات الامريكية ودراسات التثاقفية (Interculturalism) وأدب المهجر.

ومع ان عنوان الكتاب يشير الى العالم العربي عموما إلا أنه يركز على مستويين من نماذج الإنتاج الفكري. المستوى الأول محلي يتمثل في مصر صاحبة التجربة المميزة في الربيع العربي، ومكانة هذا البلد كأحد البلدان المنتجة للثقافة المرئية والمكتوبة (السينما، الروايات، الاعلام...) والمتبعة بشكل كبير على مستوى العالم العربي. اما الثاني يجسده ما يسمى بأدب المهجر أو الاغتراب الذي انتج في الولايات المتحدة الامريكية.

[1] كمشروع موسوعة علم الاستغراب الضخم الذي انطلقت ورشاته الأولى أواخر سنة 2017 والذي تتكفل به جامعة قطر بالتعاون مع المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إسيسكو) في الرباط ومؤسسة الفرقان في لندن.

## أولا: تأصيل الاستشراق في تقديم الاستغراب

في مقدمة كتابه استهل مُحَمَّد عيد الموضوع بالحديث عن الادبيات السابقة وأهمية الاستشراق لادوارد سعيد الذي اتخذه كمعيار بناء-تفكيك للايديولوجيا الغربية. وفي هذا السياق، عبر المؤلف عن نقطة الانطلاق تكمن في إعادة النظر في الاستشراق مع إعادة تحديد الاستغراب، ومن تم أسرد الفكرة الاساسية لهذه الدراسة وهو ان الاستغراب العربي يعيش علاقة تناقضية مع الاستشراق في الممارسات الخطابية ولكن يتشاركان الاساليب والاستراتيجيات. فإذا كان الاستشراق وفق سعيد هو أسلوب الغرب لتدمير "الآخر" وتحقيق الهيمنة، فإن الاستغراب العربي في جله هو خطاب ضد الاضطهاد وشكل من المقاومة. وهو خطاب يكن علاقة ملتبسة تجمع بين مد الاعجاب والانبهار بأمريكا وحضارتها وتقدمها وتفوقها، وجزر النفور وحتى الكراهية والقطيعة[1].

وتتجلى جرأة الكاتب في التأرجح بين الطرح الداخلي ومناظرته للخارجي ودور متغير الثقافة -كظاهرة اجتماعية وتاريخية- في تشكيل هويات وصياغة سياسات وتأثيرها على الايديولوجية العرقية المحلية للولايات المتحدة الامريكية.

اختار المؤلف فترة ما بعد أحداث 11 سبتمبر ليبحث في المواجهات الامريكية-الشرق أوسطية وتسليط الضوء على الضغوطات الصراعية والتهديدات الداخلية المعارضة والخارجية. ولكن هذه الدراسة تنوط بوجه خاص حول كيف تستمر الثقافة العربية والمصرية (خصوصا) في الوثوق بقيمة أمريكا كقوة نموذجية بعد انتخاب باراك أوباما رئيسا لها، الذي كان من المفترض ان يحدث تغييرا من شأنه أن يعيد التفاوض حول مكانة العالميين العربي والاسلامي في النظام الدولي. فالمجال الزمني لهذه الدراسة يغطي فترة ما بين حكم أوباما وقبل

[1] خالد الحروب، "السؤال المزمن حول العلاقة مع الغرب"، الاتحاد، الإمارات، 2006/05/29.

نهاية ما يسمى بالربيع العربي محايثة للمادة المستخدمة هنا، تشرح كيف يمكن للشعوب ان تفهم بطرق عديدة الولايات المتحدة الامريكية، أي من سبتمبر 2001 الى نهاية 2011.

على خلاف الدراسات والاصدارات الأخرى، فان هذا الكتاب يقوم على منهج المقارنة مركزا على أعمال ذات مضمون سياسي يطرح اشكالات تدور حول كيف تنتج الصور النمطية الثقافية خطابات ونصوص تطرح رؤية سياسية جديدة تتحدى خطابات ثقافية أمريكية التي كانت من وراء ثنائية "نحن" و"هم".

ولإثراء معالجة هذه المواجهة، لجأ مُحَّد عيد الى الانتاجات النصية والصناعة السينيمائية والثقافية في العالم العربي[1] ومن بعض نصوص أدب المهجر كتبها عرب مقيمون في أمريكا. ولذلك اختار كتابات التي تتناولها كل فئات المجتمع والتي تعرف بالشعبية: الادبية من خلال الروايات الاكثر مبيعا والافلام الاكثر شهرة، والمقالات والكرتون والصور الصحفية والتي تعاملت مع السياسة الخارجية الامريكية في الشرق الاوسط والتورط السياسي الامريكي في البناء الاجتماعي للاسلام (كدين) وللمسلمين (كمجموعة).

تمثلت انطلاقة مُحَّد عيد في البحث عن أسباب ومؤثرات التي تكمن وراء تشكل إدراك كل من العرب والمصريين والأمريكان لبعضهما البعض ووضعها في إطار أولي للولوج في تاريخ الاستشراق والاستغراب من جهة، وليجد ان هناك شريحة عريضة من العرب ترغب في التفاهم المتبادل والاتصال بين الولايات المتحدة والشرق الاوسط من جهة أخرى. ويؤكد على ان هذه الرغبة تبقى هي الاقوى بالرغم من انتقادات العرب لسياسة أمريكا بعد أحداث 11 سبتمبر.

[1] غالبية هذه الإصدارات هي من مصر.

في إشارة الى الغياب شبه التام للادبيات الخاصة بالشرق الاوسط والعالم العربي حول الاستغراب وخاصة تواجد هذه الاعمال وترجمتها في الغرب يجعل تصنيفها نسبيا من حيث مصداقية التنظير، يستغرب مُحَّد عيد وجود خلط في بعض المفاهيم الرئيسية، مثلا عندما يقارن "الاسلام" الذي هو دين مع "الغرب" الذي هو موقع جغرافي وهذا يعكس تجليات الاستشراق عند "الغرب" كما عرج عليه ادوارد سعيد في "كل عربي مسلم وكل مسلم عربي" ويعتبره وائل حلاق كعارض لخلل ابستمي نفساني أدى الى تشويه الاشكال الحديثة للمعرفة التي مازالت قائمة في العلوم الإنسانية[1].

إذن عرج محمد عيد في البداية على مصدر إلهامه لهذا الانتاج العلمي من كتاب أدوارد سعيد الاستشراق الذي يحدد فيه أن المستشرقين صاغوا فكرة "الشرق" كانحراف للمعايير الغربية. فيه أثار مسائل حول "الغيرية" والعلاقة بالآخر معلنا على العلاقة التي تشكلت بين الغرب "أنا الذات" والشرق "الآخر"، بمعنى أن الآخر يبنى كصورة مشوهة لـ "أنا الذات". ويؤكد ان هذا البناء الاستشراقي أدى الى تعزيز الايديولوجية الغربية للاستعلاء التي جعلت الغرب معيارا للحداثة والحضارة ينطلق منه الشرق في محاولة لاستبعاد الـ"أنا الذات"، وبهذه الطريقة يقدم ويعرف "الآخر" فقط من خلال نصوص سجلها كتاب غربيون.

ان دراسة مُحَّد عيد تجاوزت التعابير البسيطة للادراكات ليدرجنا الى اظهار الطبيعة المتنوعة التي تدخل في تصنيف "الاستغراب" والذي يبدو ان تمظهره الادبي الفني والاستعراضي سبق معالجته معرفيا وابستمولوجيا في الشرق الأوسط. كما يكشف كيف يدرك وينظر العرب الى الولايات المتحدة (والامريكيين) في الرواية والادب والاعلام والسينما والمظاهر الثقافية التي تناولت العلاقة بين الشرق والغرب خارج اطار الاستيتيك والاكزوتيك

[1] Wael Hallaq, *Restating Orientalism: A Critique of Modern Knowledge*, Columbia University Press, 2018, p. 9.

أي تغريب الاخر المختلف عن الانا، في نسخة حملت أربعة فصول لعناوين عريضة تلخص مجالات التخاطب وترابطها ببنية لغة الخطاب وتحليله.

## ثانيا: مجالات الاستغراب العربي بعد أحداث سبتمبر 2011

يشير عنوان الفصل الاول **الولايات المتحدة في الخيال الادبي العربي بعد أحداث 11 سبتمبر** الى الادب المنتج عربيا إلا أن مُحَّد عيد انتقى عيناته الأدبية لكتاب مصريين التي لاقت تفاعل وصدى تجاوز حدود العالم العربي. ويرى ان الكتَاب العرب شكلوا دائما أداة تغيير تخضع السياسة لأدبهم من أجل تأسيس وعي جديد. ايا كان هذا الادب المعاصر: رواية، مسرح، شعر أو حتى مقال حول الثقافة السياسية، علم، نقد أو تاريخ فانه يحمل في طياته عملية سرد من أجل التحرر مثله كمثل عملية التحرر من القوى الغربية المستعمرة. فكان هناك انتقال للعرب من التقليد (تقليد الغرب) الى الاهتمام بالواقع العربي من خلال الكتابة والادب. ويبرز مُحَّد عيد دور الكتَاب العرب في تسليط الضوء على انشغالات ومشاكل المجتمع ورفضهم لمظاهر الانحرافات المادية والفكرية متجاوزين تقليد الغرب والانبهار بالتاريخ العربي الاسلامي من أجل النقد المبني على تفكيك الذات.

تكمن محصلة الفكرة الرئيسية للكتابة والادب (عند العرب) حول الغرب انها فيما كانت تبغض مظاهر الامبريالية للقوى الاستعمارية البريطانية فانها في نفس الوهلة قدرت قيمة الادب والحضارة الانجليزية، وبالتالي حين يرفض العرب تركة الوجود الاستعماري الغربي إلا انهم قادرين على تقدير القيم الغربية. اذن استطاع الكتَاب العرب التفريق بين رفض التراث الاستعماري الغربي وبين الحضارة والقيم الغربية.

في هذا الصدد، انتقى المؤلف روايتين تخللها سرد الوقائع للتحدث عن أعراض وأزمات المجتمع العربي والمرتبطة عضويا بالسياسة. وأكد أنه لا يمكن لاحداث 11 سبتمبر أن تمثل المفارقة وتفصل بين الماضي والحاضر ولا بين الولايات المتحدة والعالم العربي ولا حتى بين الأجيال. وانما المفارقة تقع في حجم صراع الاشخاص وتفاعلهم مع العالم المحيط بهم سواء كان في الماضي او الحاضر او في مدينة كبيرة وعريقة مثل شيكاغو أو حتى في سجن مظلم في مصر. الفكرة واحدة في جميع الاحوال وهي رفض والتنديد بكل انواع ومظاهر الاضطهاد السياسي الذي هو الرابط بين الزمن والفضاء والاجيال.

الهمت الرواية الاولى "شيكاغو" 2007 كاتبها المصري علاء الاسواني أن يتخذ من وقائع المدينة التاريخية ملحمته الروائية، حيث انطلق بالحديث عن إبادة الهنود الحمر (السكان الأصليين) في القرن 17 وعن حادثة الحريق المهيب الذي أصاب مدينة شيكاغو سنة 1871 ليتعمق في سرد الامتزاج وتقاطع شخصيات الرواية: المصري بالمصري-الامريكي مع الأمريكي، تدور أحداثها في جامعة الينوى بشيكاغو حيث ظهرت هذه المدينة، وفق مُحَّد عيد، بمثابة عمارة يعقوبيان[1].

الرواية الثانية المعنونة "طيور الجنوب" لأماني أبو الفضل 2005، تشبه الى حد ما رواية شيكاغو من حيث البنية وفضاء انتماء الشخصيات المضطرب. تتكلم عن مدينة نيويورك كمدينة عريقة في التثاقفية حيث تعيش فيها الجالية المسلمة منقسمة دينيا وطائفيا وطبقيا وعرقيا، وتعالج فيها عدم الاعتراف بالاختلاف العقائدي والسياسي داخل حتى طائفة

[1] سبق وأن كتب علاء الاسواني سنة 2002 روايته الشهيرة "عمارة يعقوبيان" التي أحدثت ضجة كبيرة وهي الآن في طبعتها التاسعة وترجمت الى لغات عديدة، ولاقى فيلمها رواجا عالميا كبيرا (2006) لان القصة تناولت أزمات وتبوهات وأفصحت عن مظاهر المسكوت عنه في المجتمعات العربية التقليدية المحافظة. واقتبس روايته الثانية "شيكاغو" من فترة إقامته للدراسة في هذه المدينة بالذات وهذا تنويه عن الخلفية الثقافية المزدوجة لكتاب عرب احتكوا أيضا بالثقافة الغربية الامريكية.

واحدة، في هذه المرة بين الشيعة والسنة وعن الصراع الداخلي في الكنيسة القبطية نفسها. وان هذه الانقسامات الطائفية والاثنية هي وراء مبادئ التيار المحافظ والاضطهاد في العالم العربي ونتاج لغياب الديمقراطية وحرية التعبير. كما تسلط الضوء على ان هذه الانقسامات تمثل خطر حقيقي على العالم العربي/الاسلامي وان الغرب لم يتردد في توظيفها عبر التاريخ من أجل إضعاف نفوذ العالم العربي/الاسلامي وتمكين طموحاته الامبريالية في الشرق الاوسط وشمال افريقيا. جل شخصيات رواية "طيور الجنوب" هم عرب على خلاف رواية "شيكاغو.

بعيدا عن أدب المهجر، لجأ المؤلف في الفصل الثاني **الولايات المتحدة في الاعلام والحياة الفكرية العربية**، مسلحا بنظرية التأطير الاعلامي وأدوات تحليل الخطاب، الى رصد كيفية تعاطي الاعلام والمفكرين للولايات المتحدة بعد أحداث 11 سبتمبر، وكيف بدأ التوجه الى تنويع التزود بالمصادر الاعلامية حين دخلت شبكة الجزيرة في الخط وقلبت موازين قوى الحصول والتحكم في المعلومات. ولكن بداية إدراك العرب للولايات المتحدة تعود الى ما بعد الحرب العالمية الثانية ومن خلال منتجات هوليوود. فأمريكا هي أرض الميعاد والحلم رغم ان صورة العربي التي كانت تمثلها هوليوود منحرفة ومذمومة. وظهور أمريكا الامبريالية غيب الثقة بينها وبين العالم العربي لتبلغ ذروة العداوة بعد أحداث 11 سبتمبر التي بدأت في هجمات نيويورك وواشنطن وتلاها غزو العراق وأفغانستان. وأضحت القنوات الاخبارية للاعلام مثل قناة الجزيرة كوسيلة لنشر المواقف الغربية (الكراهية) ضد العرب والمسلمين وتلت هذه المرحلة مباشرة دعاوى للحوار بين "نحن" و"هم" . فانطلقت وسائل الاعلام المتحدثة بالانجليزية لمخاطبة الغرب وخاصة الولايات المتحدة لتصحيح أو رفع الغموض عن واقع العالم العربي من أجل التفاهم.

لذلك، عم الاستياء وخيبة أمل بين العرب والمسلمين إبان حكم الرئيس جورج بوش الى درجة ان رمى صحفي عراقي حذاءه على الرئيس بوش، إلا أن انتخاب باراك أوباما، من أصول إفريقية، كرئيس للولايات المتحدة استقطب اهتمام غير مسبوق وبعث الامل من جديد بين كل الاطراف الاعلامية في العالم العربي.

وكنماذج تغطية وسائل الاعلام محليا ودوليا، اختار المؤلف ان يعالج في هذا الفصل حادثتين مهمتين: رمي الحذاء على الرئيس الأمريكي بوش في العراق وانتخاب باراك أوباما رئيسا للولايات المتحدة خلفا لبوش. كما رصد مقتطفات من الصحافة السمعية والمرئية والمكتوبة الأكثر شعبية في الشرق الاوسط والعالم من حيث الكاريكاتور والمحتوى المرصود مثل الأهرام والمصري اليوم وشبكة الجزيرة التي تميزت عن غيرها كوسيلة تأثير في تشكيل الرأي العربي والعالمي. وفي هذا المنوال، أسهب في الحديث عن موقع الجزيرة التي كسرت تابوهات وتجاوزت حائط الهيمنة الاعلامية الغربية وخاصة الامريكية. كما استعان المؤلف باستراتيجيات تأطير وتحليل الخطاب الاعلامي من أجل توصيف رد فعل الاعلام العربي لحادثتي رمي الحذاء على الرئيس بوش وانتخاب الرئيس أوباما.

وأبرز محمد عيد ان لدى معظم الصحفيين والكاريكاتوريين وحتى المفكرين العرب فكرة عن الولايات المتحدة يتخللها الاحترام لمبادئ ديمقراطيتها، ويعتقدون ان سياستها الخارجية شوهت صورتها في المنطقة. ومع تقلد أوباما زمام الحكم في 2008 واعلانه تجسيد وعود التقارب، أبدى الاصلاحيون العرب تفاؤلا وحماسا في رؤية مشاريع التغيير (في السياسة) تبدأ من واشنطن وقد تتعدى حدود الولايات المتحدة. وسرعان ما انهالت الانتقادات (عربية المصدر) على أوباما حين أبقى على أجندة الادارة الامريكية كما في

السابق[1]. كما وصف ذلك المفكر العربي فهمي الهويدي :خاب امل العرب من ايجاد منقد في الخارج وليس في الداخل ومن بينهم. وجاءت العهدة الثانية لأوباما لتؤكد الغموض الذي كان يحوم حول أجندة الادارة الامريكية في الشرق الوسط، فان أوباما الذي زار مصر في 2008 يختلف تماما عن أوباما الذي زار أسرائيل حين أعيد انتخابه في 2013.

## ثالثا:مستقبل علم الاستغراب والعالم العربي

لم يكن مستغربا ان يكرس الجزء الأكبر من الكتاب للفصل الثاني نظرا لأبعاده المتشعبة ثقافيا واعلاميا حيث أثار محمد عيد "الانفجار" الإعلامي الذي عقب أحداث 11 سبتمبر وانقلبت الاختلافات الثقافية بين العالم العربي والولايات المتحدة الى اختلافات في "البنية الفكرية" وهيكلة المواضيع المستهلكة في الاعلام العربي التي كانت ترى من زاوية متباينة تماما عن الاعلام الغربي. مثلا اعتبر الغرب حادثة رمي الحذاء على الرئيس السابق بوش بمثابة تصرف "عنيف"، فيما ترجمه العرب كفعل مناهض للظلم والاحتلال. واسقاطا على حادثة انتخاب أوباما رئيسا التي عبرت عن "المساواة العرقية" في أمريكا، فإنها، عند العرب، كرست فكرة الاصلاح السياسي في الديمقراطية الامريكية، وعلى ان تكف أمريكا عن ممارسة سياسة "ازدواجية المعايير" المنحرفة بسبب إغفالها عن الانشغالات الحقيقية للعرب في المنطقة.

واستمرارا في المجال المرئي السمعي الذي يشرح فيه مُحَمَّد عيد الوسائل الرائجة لنوع الخطابات الشعبية التي يلجأ إليها الفنانون والكتاب العرب للتعبير عن نمط ثقافي معين في

[1] هذا ما تثبته معظم الدراسات حول إدارة أوباما التي قد تختلف في السلوك وطريقة التعامل ولكن في الاصل حافظت على الأجندة الحيوية للولايات المتحدة وخاصة في الشرق الوسط. انظر الى أعمال التي تتفق مع هذا الطرح في:
Pierre Guerlian, "Obama's Foreign Policy: Smart Power, Realism and Cynicism", *Springer Symposium: America in the World*, 2014, p. 483.

المخاطبة (مخاطبة الداخل والخارج)، يدرج المؤلف فصلا حول **الولايات المتحدة في السينما العربية بعد أحداث** 9/11. وتعتبر السينما نافذة الشعوب العربية على الخارج، كما لها قدرة وتأثير على صياغة الواقع من منظور فني ايحائي ورمزي وهي من الأكثر الوسائل تنقد وتعالج القضايا في العالم العربي الذي يستحسنُ بعد المشاهدة والنظر أكثر من القراءة.

وبالتالي شكلت أحداث 11 سبتمبر بالاضافة الى احتلال العراق وأفغانستان، انطلاقة لنوع جديد في السينما العربية وخاصة المصرية. في هذا الصدد، يحاول مخرجي الافلام العربية ان يبرزوا ان الثقافة العربية هي غنية وتتقبل الآخر، على عكس الثقافة الامريكية التي هي أقل تقبلا له خاصة ان كان عربي أو مسلم. فكثرت النداءات من طرف المفكرين العرب الذين رأوا حاجة ملحة لايجاد قنوات جديدة تمكن العرب أن يعدلوا صورتهم السلبية وتوفر نموذج دقيق لواقعهم يواجه بفعالية الاختلاسات التي تعرضوا لها.

كما هو معلوم ان هوليوود تسيطر على صناعة الأفلام عالميا وتروي قصص "العرب" من وجهة نظر هوليوود وبرؤية غربية، ولهذا فإن منتجي الافلام العرب على وعي بصعوبة توزيع أفلامهم في الغرب نظرا لطغيان المنتوجات الامريكية وكلفة التسويق في الولايات المتحدة، وهذا لم يمنعهم من لفت نظر الجمهور المحلي والعربي في البلد كما هو الحال في صناعة الافلام المصرية التي تعرف كهوليوود الشرق في العالم العربي.

وبما أن السينما المصرية تعد المرجعية لهذا النوع من الفن في الشرق الاوسط فان تاريخها مر بمحطات مختلفة بدأت بـ"مواجهة ناعمة"(soft encounter) بعد ثورة 1952 بين الأمريكي المصري، حسب تعبير مُحَمَّد عيد. فذهبت الافلام المصرية في السبعينيات والثمانينيات تتبع أدراج السينما الامريكية دون ان يكون هناك استساغ للمنتوجات الامريكية داخل مصر والدول العربية بسبب التورط الامريكي في الصراع الفلسطيني الاسرائيلي وتحيزها

الى جانب الانظمة العربية غير الديمقراطية[1]. أي على مستوى السياسة الخارجية الامريكية في الشرق الأوسط هناك شعور معادي للأمريكيين في العالم العربي. وفي أواخر القرن العشرين، زادت معضلة العرب تفاقما بسبب غياب "لغة" موحدة قادرة على مواجهة الغرب عموما وأمريكا خصوصا. ونعني بـ"لغة" هنا الأدوات الثقافية والسياسية والاقتصادية التي من شأنها أن تؤثر على سياسة الغرب/وأمريكا في المنطقة. ومصدر هذه المعضلة هو فشل العرب في جذب اهتمام مصالح الولايات المتحدة لضمان سياسة عادلة في الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي.

إذن هدف السينما هو "إعادة إنتاج" الواقع المختلق بوسيلة أخرى و"إعادة تعريف" هذا الواقع حسب الادراك الايديولوجي للمخرج الذي من المفترض ان يعالج قضية تستقطب جمهور عريض داخل وخارج الشرق الاوسط. وفي هذا الصدد، مثلت أحداث 11 سبتمبر فرصة لتقديم قراءة ذاتية لهذه الاعتداءات وتداعياتها في العالم العربي، فقامت الافلام العربية ببناء بعض "حقائق" في سياق تاريخ مواجهات أمريكا-العرب. ويطرح هذا السياق كيفية صياغة ما يربط "الداخل بالخارج". بمعنى ليس فقط الخوض في قضايا "من هم" و"من نحن" و"من هو الارهابي" ولكن ان يلوج الى عمق الاحداث والقيم وتبوهات المجتمعات في الشرق الأوسط، وبالتالي، فإن السينما مثلت الحلبة التي أمكنت العرب أن يتنافسوا فيها مع الولايات المتحدة نظرا لأهمية أثر بعدها النظري في العالم العربي.

ركز مُحَّد عيد في اختياره للأفلام المعالجة في هذا الكتاب على نوع الذي لقى رواجا كبيرا عربيا ودوليا بالدرجة الاولى، حيث قدم مخرجو هذه الافلام مقاربتهم حول مأساة

[1] يسهب محمد عيد في تحليل موقف العالم العربي من أمريكا الذي يميز بوضوح بين الثقافة ومكونات الحضارة والحداثة وبين السلوك الخارجي لأمريكا إزاء الشعوب العربية وقضاياها.

أمريكا جراء أحداث 11 سبتمبر كشهادة لقراءات عالمية حول هذه الاحداث. فكانت أفلام المخرج الشهير يوسف شاهين في رباعيته الاسكندرية[1] – وخاصة "الاسكندرية... نيويورك"– تعيد النظر في العلاقة مع أمريكا كنقطة الفصل ما قبل وما بعد أحداث 11 سبتمبر عند "الآخر" العربي الذي يعيش في أحضانها. فيلم آخر اكتسى أهمية كبرى وهو "ليلة سقوط بغداد" 2005 لمحمد أمين وهو فيلم سياسي يتناول أمريكا وسياسيتها من موضع ساخر حول من "نحن" (المصريون والعرب) حيث جعل من السخرية والاستهزاء أداة يعالج بها الصورة المبتذلة لكل من الاستشراق والاستغراب من خلال انتقاده سياسة أمريكا وتطرقه "للآخر" أيضا المتمثل في المصريين أنفسهم. فيلم آخر "عايز حقي" لأحمد نادر جلال 2006 الذي يعالج مسألة بيع الوطن للأجانب، وتحقيق مصالح الاجانب و"الآخر" لا يتم إلا لمصلحة غير الوطن. تطرق مُحَمَّد عيد لفيلم آخر لا يقل أهمية عما سبق ذكره ألا وهو "ليلة البيبي دول" لعادل أديب 2008 حيث يعالج فيه سوء التفاهم بين العالمين العربي والغربي بعد أحداث 11 سبتمبر والتعقيدات التي آلى إليها الوضع في الشرق الاوسط حيث لا يمكن رسم صورة شاملة وكاملة لأي من المجتمعين كان عربي أو أمريكي.

جابه المؤلف في **الاستجابة الثقافية العربية والامريكية لاحداث 11 سبتمبر وما بعدها**[2] كيف فتحت أحداث 11 سبتمبر بابا جديدا في الكتابة والرواية ليس فقط في

[1] رباعية يوسف شاهين التي كان المخرج والكاتب والممثل فيها يسرد سيرة حياته التي بدأها بـ "اسكندرية...ليه" 1978، "حدوثة مصرية" 1982، "اسكندرية كمان وكمان" 1990 وانهاها بـ"اسكندرية...نيويورك" عام 2004.

[2] أشار مُحَمَّد باسهاب الى ما يعرف بأدب المهجر أو حتى الشتات لكتاب عرب هاجروا الى الولايات المتحدة الامريكية هربا من الاضطهاد الاجتماعي والسياسي والديني في العالم العربي مثل جبران خليل جبران وأمين الريحاني وميكائيل نعيمة. كانت جل كتاباتهم تعبر عن رغبة في الاصلاح في العالم العربي واهتمام في تقليص الفجوة بين الشرق والغرب، وهذا من خلال إشاعة القيم الاجتماعية والسياسية الغربية في الشرق وتقديم القيم الروحية الشرقية للغرب الذي يعاني من المادية الدنيوية.

الشرق الوسط ولكن أيضا أفرزت التحاق الكتاب العرب الامريكيين الى نضال من أجل القضايا العربية ومواجهة الصور النمطية والتمثيلات المبالغ فيها لشعوب العالم العربي وثقافاته.

وبالتالي فإن العهد ما بعد 9/11 شهد نهضة في الادب العربي الامريكي تمثلت في مسؤولية الكتاب العرب الامريكيين ان يصححوا صورتهم في مواجهة الامريكيين بلغة الامريكيين أي من خلال الانتماء الى السياق الامريكي. وهكذا سجلت استجابة العرب الامريكيين ان يدفعوا بما يسمى السردية المضادة (counter-narratvie) التي هي عبارة عن جزئين: جزء "أنا" وجزء "الآخر" في فئات مختلفة من الكتابة مثل روايات ومذكرات وشعر والآداب وحتى النقد.

يحلل نصين أدبيين للعرب في الخارج (الشتات) وكيفية معالجتهما للعلاقة بين الغرب والعالم العربي في معضلة ما بعد الكولونيالية التي هي الترابط بين الفاعل (subject) المستعمر والاستقلال، حيث يشير الى مسألة أهمية التاريخ الذي أساسه ان الماضي يطلعنا على الحاضر. قبل الولوج في تحليل النصين يعرف مُحَمَّد عيد بازدواجية طبيعة الكتَاب العرب المقيمين في أمريكا ووضعها في نسق الثقافة المزدوجة الجديدة التي هي عبارة عن عملية الترقيع (bricolage) من اجل التفاوض حول الهوية. فالعرب الامريكيون لم يحظوا بتصنيف عرقي واضح: فهم ليسوا بالسود ولا البيض وقد لا يوجد فئة بينهما، فهم جماعة بلا تصنيف (uncathegorised).

وانجر عن ذلك ظهور ما يعرف في انتروبولوجيا الهوية الهجينة المزدوجة وهي فئة الكتاب العرب الأمريكيين أدرجت أسماؤهم في قاعدة بيانات وفهارس المكتبات في أمريكا.

وهذا ما نجده في بعض الاعمال الادبية من أدب المهجر النسوي الذي تميزت فيه كاتبات تحصلن على جوائز دولية وانتقى منها مُحَمَّد عيد بـ"رسائل الكترونية من شهرزاد" 2003 لمهجة كهف، و"أرض الميعاد" لليلى حلبي 2007 حيث لجأت كل من الكاتبتين[1] الى مزج عناصر الهوية المزدوجة بواقع الهجرة والاثنية في رواية انجليزية النص ولكن عربية القصة والشخصيات، في إشارة واضحة لحقيقة صراع الجهل والجهلة الدائر في الغرب عوض ان يكون صراع الثقافات أو الاديان أو الحضارات، حيث مازال العرب في موضع ملتبس بين السمر الوافدين من أمريكا اللاتينية والسود المنحدرين من أصول إفريقية.

**الخاتمة:**

وفي الاخير، لا بد من القول ان العلاقة المشحونة بين الولايات المتحدة والشرق الأوسط التي تلت 9/11 أفرزت الآلاف من الإصدارات والأبحاث، معظمها لم ترق الى المستوى العلمي الموضوعي حول العرب والمسلمين، في نظر مُحَمَّد عيد، ولكن انحصرت في مرحلة جديدة للاستشراق الغربي. وما يميز عمل مُحَمَّد عيد عن غيره أنه وفِق في طرح جدلي تتداخل فيه الثقافة بالسياسة والتاريخ مع ان الدراسة اقتصرت على دولة مصر المغيبة تماما في عنوان الكتاب.

وما يلفت النظر في عمل مُحَمَّد عيد أنه تطرق للجانب العملي الملموس للاستغراب وهو بمثابة البعد الانطولوجي، الذي يبدو انه على سبق من الابستمولوجي المعطل مؤقتا في انتظار ترسيخ الجهود الفكرية لتأسيس والتأطير الاكاديمي لحقل الدراسات في علم الاستغراب يتوسع على أرجاء منطقة الشرق الأوسط العربي.

[1] مهجة كهف سورية المولد 1968 هاجرت الى الولايات المتحدة سنة 1971، أما ليلى حلبي ولدت ببيروت من أب أردني وأم أمريكية.

وأخيرا وليس آخرا يبدو ان محمد عيد سعى في بداية خلاصته أن يفتح باب الاجتهاد الفكري لطرح مقاربة التقارب والتجديد، سواء من الجانب العربي ومسألة الفكر الاسلامي الاصلاحي الذي تأصلت فيه دعوة التعايش والتقارب كفكر مُحَّد عبده وبعده حسن حنفي الذي ركز بدوره على مسألة الابداع الفكري الابستيمي والخروج من التبعية المعرفية للغرب، معللا ان أحداث 11 سبتمبر جعلت العرب –في الخفاء سابقا– ينكشفون للعالم وهم مكرهون.